ليس اعتذارًا ولا حجيرًا جديدًا
"حُجيران" في عمرين

كانت "رسالة مؤتمر وادي الحُجير ١٩٢٠. الأسباب والنتائج" موضوعًا لنيل شهادة الكفاءة من كلية التربية العام الجامعي ١٩٧٢ - ١٩٧٣، باكورة كتابتي في التأريخ. وكانت كتابة "فرض مدرسي"، ولم أكن قد قدّرت بعدُ، أنها ستكون كتابة في "التأريخ" وكتابة "للتأريخ".

نصحني بالموضوع يومها مؤرخ الشيعة الرسمي في لبنان المرحوم الأستاذ محمد علي مكي. كما نصح صديقًا لي الدكتور محمد سعيد بسام بموضوع آخر يتناول من التراجم العاملي شخصية ناصيف النصار.

لم أكن قد سمعت من قبل بالحُجير لا واديًا ولا مؤتمرًا، كما لم يكن لدى صديقي من شخصية الشيخ ناصيف النصار، معرفة تتعدّى معرفته بحروف الأبجدية من كلمتي اسم الزعيم العائلي. وهذا ما جعل العمل شاقًّا من بداءته. ولكنه عسر راح يسلس ويتيسّر مع كل لقاء بشخص سمع بالمؤتمر أو شارك فيه. فكثيرون كانوا من الأحياء الذين عاصروا المؤتمر، حيث يكن قد مضى عليه أكثر من إحدى وخمسين سنة ، وكثيرون يومها شيوخ معمرون على مشارف السبعين من أعمارهم . لا بل أنني التقيت بمن شاركوا فيه ، إذ كان عديدون منهم من المسنين في المنطقة على أبواب الثمانين من سنيّ حياتهم .

لكن وجهًا آخر آساسًا في الصعوبة كان يدور في خارج الموضوع . كان يدور في نسق الفكر السياسي القائم ، الذي لم يكن ليلتفت إلى "صغائر" الأمور و"سفاسفها"، في "طائفة" أو "منطقة" صغيرة. كان خط الانقسام الاجتماعي الطبقي يرصف الناس والأهل في صفين من التقابل الطبقي ، مسنونين في تناحرهما في حرب كبرى ، لن تستقر إلّا على نصر مبين منذور لأقرب الأجلين. والحرب الكبرى تكون ، بالطبع ، موصولة بمعارك بحجم ستالينغراد وديان بيان فو والثورة الجزائرية وثورة فييتنام والعدوان الثلاثي وحرب حزيران، ولا ننسى الثورة الفلسطينية "رأس" في حركة التحرر الوطني على مستوى الأمم. ومؤتمرات الحرب الكبرى كبيرة بحجمها، شأن مؤتمر باندونغ، ومؤتمرات دول عدم الانحياز والمؤتمرات الأفروأسيوية ... . لذا لم يكن موضوع الحجير معقدَ تشجيع أو مباركة حتى من أهل أو أصدقاء قريبين، وقد "حطّوا" الأمبريالية "دؤر" أعينهم مقاومينها ليل نهار. كنت أضع اللوم على نفسي وسوء تبصّري في الاختيار، ونكوسي بعدم إمكانية التفلت إلى موضوع آخر.

المهم، قضي الأمر ووفّقت بتقميش ما يلزم من معلومات تكفي ملءَ كتابة الموضوع. أما الكتابة فكانت هنيئة سريعة. فما كان تصعيبًا في فهم الآخرين بنسق تفكيرهم للموضوع، وأنا من "الآخرين" بالطبع، قادني أثناء الكتابة إلى سهولة وسلاسة لم أكن على وعد بتحصيل مثلها: المسرح قائم والممثلون معروفون: الاستعمار الفرنسي وعملاؤه من الإقطاع العاملي من أسعديين وزينيين وعسيرانيين، إلى العملاء الجاهزين لممالأة الاستعمار من غالبية مسيحيي جبل عامل. في مقابل التيار الوحدوي العروبي ومن يناصره من ثوار تحت اسم عصابات، وثوار إربد وبعض الجولان، وآخرين تحت اسم عرب الحولة وبدوها. ولأن القضية واضحة كعين الشمس يفرز الطرفان يسارًا ويمينًا. ويكفي الله المؤرخين شر التحليل والكتابة.

أذكر بفرح أن رسالتي لاقت إعجابًا من أساتذتي، مشرفًا ومناقشين. ولاقت إعجابًا من قرّاء آخرين، ولكن ذلك لا يمنعني من أن أقول، برفيع الصوت، إنني اليوم بريء من كثير مما ورد فيها من تصويبات وآراء. ومراجعتها اليوم، من زاوية ثقافتي الحاضرة واطلاعاتي الجديدة، تضعني على مفترق مع الكثير منها. وهنا أشهد بعضًا منها، كي لا يقع قارئها بما وقعت فيه من "عَرَج" في التحليل والرؤية، وبما استسهلت النطق به من أحكام وقراءات.

راحت الحوادث في منطقة جبل عامل تتطور السنة ١٩٢٠ "بأطوار مدهشة، والفوضى مستحكمة"([1])، فكانت لقاءات شبه مفتوحة في جسر الخردلي (٢٠ آذار)، وفي الطيبة ومزرعة هورا (١٥ نيسان)([2]). بهدف "ملافاة الفوضى الضاربة أطنابها في البلاد". حضرها من زعماء جبل عامل ومن علمائه ووجهائه، وفي مقدمهم كامل بك الأسعد وفضل بك الفضل وأخوه محمود، ويوسف بك الزين، والحاج حسن عبد الله والحاج خليل عبد الله وجمع من السادة آل الأمين وآل فرحات وأعيان بنت جبيل وبعض العلماء". وحضربعضها من جانب الفرنسيين، (شاربنتييه) مستشار متصرف لواء صيدا العسكري، وحاكم الجديدة الإفرنسي([3]).

لم تجدِ هذه اللقاءات نفعًا في تدبير هدوء للداخل العاملي، كما لم تجنبه ما راح يتواتر من أخبار من منطقة الحولة عن عزم عقدته "العربان"، بخاصة"عشائر الفضل في المنطقة الشرقية"،

---

[1]- أحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، حوادث جبل عامل ١٩١٤ – ١٩٢٢، تحقيق وتقديم منذر محمود جابر، ط ١، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٠٧.

[2]- مزرعة هورا: في خراج دير ميماس لجهة كفركلا، على مسافة ساعة ونصف الساعة من جديدة مرجعيون.

[3]- علي عبد المنعم، شعيب: **مطالب جبل عامل. الوحدة. المساواة في لبنان الكبير ١٩٠٠ – ١٩٣٦**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوثيق، بيروت، ١٩٨٧، ص ٧٥؛ وكذلك: سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ط ١، دار المطبوعات الشرقية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦، ص ٧١ – ٧٢. أحمد، رضا: **مذكرات** للتاريخ، يومية ١٥/ نيسان/١٩٢٠، ص ١٠٨.

ذراع قوى السلطة في دمشق، على احتلال بلاد بشارة ..."([٤]). وتخيير كامل بك الأسعد بين موقعين: إمّا أن ينضم إليهم بجبل عامل فيكون معهم حربًا على فرنسا. وإمّا أن يعتزل فيكون غرضًا لحربهم قبل فرنسا([٥]). وفي مواجهة هذا الطلب، لم يكن كامل بك الأسعد مفردًا في جبل عامل من دون العلماء من أولي الشأن ، ودون الزعماء من أمثاله ، الذين لهم كلمتهم ولهم أتباعهم([٦]).

وفي الموازاة، كانت مواقف غير قيادات عاملية متريثه بطيئة، تقدر الأمور وتقيسها، رغم عجيج الكلام عن موقف عاملي صارم لا يلين وراء العصابات، شدّ العامليين فاجتمعوا عليه وأحاطوا به. ينقل السيد عبد الحسين شرف الدين عن أن "المفكرين في عاملة أخذوا هذا الطلب على أنه جدّ شاق من طرفيه. فهم إن أجابوه ، ففرنسا دولة غنية مجهزة لا قبل لهم بها، وإن امتنعوا عنه ، فهذه جبهة وطنية تدعوهم إلى جهاد وطني ، وذلك ما لا قبل لهم بالامتناع عنه أيضًا. أضف إلى هذه الحيرة، أن سياسة البلاد المضطربة كانت تدعوهم للاجتماع، وللنظر في تقرير مصيرهم على نحو تطمئن إليه الجماعة القلقة"([٧]).

وإلى هذا السبب المباشر في انعقاد مؤتمر وادي الحجير، والذي يصوغه الشيخ سليمان ظاهر، تحت اسم تقرير مصير جبل عامل، يضيف سببين آخرين: "وضع حد لتعدّي العصابات الشامل الذي تألم منه المسلم الشيعي قبل المسيحي ثانيًا، ولوقاية إخوانهم المسيحيين من شر الاعتداء ثالثًا"([٨]).

انعقد المؤتمر الأكثر حضورًا واستحضارًا في الذاكرة العاملية، في وادي الحجير في ٢٤ نيسان ١٩٢٠. حيث اجتمع زهاء ستمائة شخص، فيهم جلّ زعماء مناطق صور وصيدا والشقيف ومرجعيون، وعلمائها وأعيانها ومفكريها([٩]). واللافت الجدير بالإشارة هنا، هو أن دعوة "رجال

---

[٤]- أحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، يومية ١٦/ نيسان/١٩٢٠، ص ١٠٩؛ عبد الحسين، شرف الدين: **بغية الراغبين**. تاريخ أجيال في تاريخ رجل. نسب وتاريخ وتراجم. تحقيق العلامة السيد عبد الله شرف الدين، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩١، ج٢، ص ١٥١.

[٥]- عبد الحسين، شرف الدين: **بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين**، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢.

[٦]- المصدر نفسه.

[٧]- المصدر نفسه، ص ١٥٣ - ١٥٤.

[٨]- سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ط ١، ص ٧١ - ٧٢.

[٩]- قيادات حضرت المؤتمر: من رجال الدين: الشيخ حسين مغنية، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد عبد الحسين نور الدين، والشيخ عبد الحسين صادق، والشيخ يوسف الفقيه، السيد علي محمود الأمين، والسيد عبد الحسين محمود الأمين، والسيد جواد مرتضى، والشيخ موسى قبلان، الشيخ علي مروه، والشيخ حسين قشاقش. ومن الزعماء والوجهاء حضر: كامل بك الأسعد، وأخويه محمود وعبد اللطيف، ويوسف بك الزين، الحاج علي الزين، وبكوات آل الفضل، ومحمد بك التامر، والحاج محمد سعيد بزي، وأخوية الحاج عبد الحسين والحاج عبد الحميد، والحاج محمد مرعي، والحاج محمد الحاج حسن عبد الله، ومحمد أسعد ابي خليل، والحاج إسماعيل خليل، وعبد الله عز الدين، والحاج أحمد أبي عرب، وسعد الدين فرحات، ومحمد حسن فرحات، وداود غندور... . ومن رجال الفكر حضر كل من الشيخ أحمد عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر، والشيخ عبد المحسن الظاهر، ومحمد جابر آل صفا، ومحمد علي الحوماني... .

الثورة كأدهم الخنجر، وصادق حمزة وأتباعهما، لحضور هذا الاجتماع، كانت منحصرة في أخذ العهود عليهم، بأن لا يتعرضوا لإخوانهم الوطنيين مسلميهم ومسيحيهم بسوء"([١٠]). وقد لبثوا في اجتماع الحجير خارج سرادق الاجتماع والمداولات([١١]).

أمّا في ما يتعلق بالجانب السياسي، فإن مصادقة مؤتمري وادي الحجير على مقررات المؤتمر السوري بإعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، تأتي من باب تحصيل الحاصل السياسي العاملي. كما أن التهنئة بفيصل مليكًا على سوريا، تأتي من قبيل تحصيل الواجب الأخلاقي تجاهه عربيًا شريفيًا. فإن ما يستوقف الباحث هو البند الذي ينشره اثنان من كاتِبِي وادي الحجير الخمسة([١٢])، الشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر، بندًا واضحًا في بيانه: "اعتبار مقاطعة جبل عامل مستقلة استقلالًا إداريًا داخليًا مرتبطًا بالاتحاد السوري"([١٣]). وهو بند يسهو عنه السيد عبد الحسين شرف الدين، ويتركه في روايته لمقررات المؤتمر([١٤]).

يأتي هذا الموقف العاملي غداة خمسة أشهر من محادثات فيصل – كليمنصو، التي أدت إلى اتفاق مؤقت "يكرس بموجبه الحكم العربي في سوريا الداخلية. في حين يعترف الأمير فيصل بجبل لبنان المنفصل والخاضع للانتداب. ويحصل الدروز على الحكم الذاتي ضمن سوريا، ويشكل البقاع قطاعًا محايدًا". وهذا الاتفاق استقبل "بذعر" من قبل المؤتمر السوري، و"لقي رفضًا قاطعًا في دمشق"([١٥]). كما ياتي موقف جبل عامل، غداة شهر ونصف على المقررات الأخيرة للمؤتمر السوري، التي أعلنت عن نظام ملكي برلماني دستوري لا مركزي في سوريا

---

[١٠]- سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ص ٧٢ - ٧٣.

[١١]- عندما تقرر داخل المؤتمر بالاجماع، العناية التامة بحفظ الامن في سائر أنحاء هذا الجبل... ."استدعي الشيخ صادق الحمزة، فدخل السرادق حيث انعقدت جلسة المؤتمر، يحف به رجاله شاهري بنادقهم حوله...". أحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، ص ١١٣.

[١٢]- الثلاثة الباقون هم: محمد جابر، والحاج إسماعيل الخليل، والشيخ عز الدين علي عز الدين.

[١٣]- سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ص ٧٢ – ٧٣؛ سليمان، ظاهر: **صفحة من تاريخ جبل عامل**، ط ١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٩١. وينقل أحمد رضا: وقرروا أن يكون جبل عامل مستقلًا استقلالًا داخليًا ضمن الوحدة السورية". **مذكرات للتاريخ**، ص ١١٣.

[١٤]- ينقل السيد عبد الحسين شرف الدين مقررات المؤتمر كالآتي:

١- تاييد مقررات المؤتمر السوري في رفض تقسيم سوريا والانتداب الفرنسي، وإعلان الدولة العربية في سوريا، وتتويج فيصل ملكاً عليها.

٢- انضمام جبل عامل للدولة العربية (الوحدة السورية) ومبايعة الملك فيصل على تطهير البلاد من الاحتلال الفرنسي.

٣- المحافظة على النصارى وحقوقهم وحلف اليمين على ذلك.

٤- تفويض حجة الإسلام المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين والعلامة الجليل السيد عبد الحسين نور الادين، وزعيم جبل عامل كامل بك الأسعد بتمثيل البلاد لدى الملك فيصل ومفاوضته في تنفيذ موضوع هذا المقرر. راجع: **بغية الراغبين**، ج ٢، ص ٤٤١.

كما يغفله محمد جابر آل صفا في تلخيصه لمقررات المؤتمر: "إن المؤتمرين قرروا بالإجماع انضمامهم للوحدة السورية، والمناداة بجلالة الملك فيصل ملكًا على سوريا، ورفض الدخول تحت حماية أو انتداب الفرنسيين". محمد، جابر آل صفا: **تاريخ جبل عامل**، دار متن اللغة، بيروت، ١٩٥٤، ص ٢٢٦.

[١٥]- راجع: ستيفن هامسلي، لونغريغ: **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ١٢٣ - ١٢٤.

كلها ، على "على أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب، بشرط أن تكون بمعزل عن أي تأثير أجنبي".

ولم يكن قادة الحجير، على ما يبدو بغافلين عن مؤدى مطلبهم لدى القيادة في دمشق، "اعتبار مقاطعة جبل عامل مستقلة استقلالًا إداريًا داخليًا مرتبطًا بالاتحاد السوري". تشي بذلك إشارة أجمع عليها رواة مقررات مؤتمر الحجير، حول مهمة الوفد في دمشق: "تمثيل البلاد لدى الملك فيصل ومفاوضته في تنفيذ موضوع هذا المقرر"([١٦]). و"البحث في مصير الجبل مع جلالة الملك فيصل في الشام"([١٧]). بينما يذهب الشيخ سليمان ظاهر إلى صيغة أكثر انضباطًا: "تفويض العامليين لهم تفويضًا مطلقًا بتقرير كل ما يعود على جبلهم بالنفع"([١٨]). ويبدو أن هذا المطلب بالاستقلال الإداري الداخلي، هو الذي أوجب على السيد محسن الأمين أن يتأبى مرافقة وفد مؤتمر الحجير إلى دمشق، "حتى استوثق من أنه يقتصر في القول على استشارة المليك ثم يعمل بما يشير به"([١٩]). ولا نحسب أن التفاوض أو الاستشارة، ينحصران بغير مطلب الاستقلال الداخلي، أو يتعدياه أو يحيدان عنه.

كان المطلب العاملي بالاستقلال الإداري ضمن الوحدة السورية، يعني المراهنة على قرار بذلك، شأن الصيغة التي أعلنها المؤتمر، في ما يتعلق بجبل لبنان، أي الاعتراف بوضع خاص للجبل العاملي في الدولة العتيدة. وهو مطلب ظلت تتكرر المطالبة به وتقديمة خطة للفرنسيين من بعد نشوء لبنان الكبير.

يعني هذا الموقف أن الشيعة لم يروا في ذهاب السلطنة العثمانية، انتصادرًا لهوية عروبية ممتدة، على عثمانية كانوا على مدار تجربتهم التاريخية معها على استكانة حينًا، وعلى أوجاع وتمرد أحيانًا، وعلى حذر في كل الأحيان.

كان الموقف الشيعي من الارتباط بسورية، يجد بعض مسبباته، أو لنقل بعض ميسراته ومسهلاته، في وجود الأمير فيصل الهاشمي على رأس الكيان السوري الوليد. وهذا ما جاهرت القيادات الشيعية أمام الأمير فيصل، وأمام القيادات الفرنسية([٢٠]). ومع هزيمة فيصل ومشروعة

---

[١٦]- عبد الحسين، شرف الدين: **بغية الراغبين**، ج ٢، ص ٤٤١؛ وأحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، ص ١١٣؛ بينما يذهب الشيخ سليمان ظاهر إلى صيغة أكثر انظباطًا: " تفويض العامليين لهم تفويضًا مطلقًا بتقرير كل ما يعود على جبلهم بالنفع" سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ص ٧٢ – ٧٣؛ سليمان، ظاهر: **صفحة من تاريخ جبل عامل**، ص ٩١.

[١٧]- عبد الحسين، شرف الدين: **بغية الراغبين**، ج ٢، ص 155.

[١٨]- سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ص ٧٢ – ٧٣؛ وكذلك: **صفحة من تاريخ جبل عامل**، ص ٩١.

[١٩]- **العروبة**، أيار ١٩٤٧، ص٨٥ - ٨٦.

[٢٠]- يستذكر الشيخ أحمد رضا النظرة المتبادلة بين الأمير فيصل والعامليين: "اجتمعت هذه الليلة في صيدا بالعلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، في بيت أخينا الشيخ أحمد عارف الزين وأخبرني، أنه لما غادر الشام منذ بضعة أيام، بعد أن حظي بمقابلة جلالة الملك فيصل ملك الشام، قال له الملك: أنت ذاهب إلى صيدا، فأبلغ أهل جبل عامل عامة، وكامل بك الأسعد

في سورية، فقد الموقف الشيعي مشدًّا من مشداته تجاه الارتباط بسورية، لا سيما وأن المواقف الكثيرة للقيادات السورية، لم تكن مبعث راحة لدى الأوساط العاملية.

بالطبع، لم يذهب الاستقلال الداخلي الشيعة داخل الوحدة السورية، كما داولت به القيادات الشيعية في مطالبها أمام لجنة كينغ كراين، أو في مؤتمر وادي الحجير، مذهب القيادات المارونية ، التي رأت في الخلاص من العثمانية بابًا للدخول إلى قومية لبنانية ، لطالما كانت برأي أصحابها موؤدة في تاريخ المنطقة ، ثم مخنوقة ممنوعة من "الامتداد" حتى "حدودها التاريخية" زمن المتصرفية.

* * *

أتابع وأذكر سريعًا بعض معوقات النظرة إلى العامليين "وليدات نبي" عروبيين فرحين، خلواً من خلاف أو اختلاف في نظرتهم وموقعهم الحكومة العربية.

١ - هذا كامل الأسعد، وهو منْ هو في جبل عامل، كان في طريقه إلى صيدا، وفي حمى خلافه مع رياض الصلح رئيس حكومة صيدا، "يوم السبت في ٥ تشرين الأول١٩١٨م مع بعض العلماء إلى صيدا ... مصحوبًا بقوة من رجاله مسلحة ، فقد أشير عليه بأن يدخل فيها صيدا مجردة من السلاح، فعمل بالمشورة، وذهب الوفد إلى دار الحكومة ، وكاد يحصل ما لا تحمد عقباه بين رجاله والصيداويين، وانتهى الأمر بفشل خطته..."(٢١).

٢ - كان الخلاف على الحكومة التي تشكلت في صور باسم الحكومة العربية في دمشق على أشدّه، كما ينقل الشيخ سليمان ظاهر في مفكراته، "بين رئيس الحكومة سعيد المملوك في صور والحاج عبد الله يحيى، وكان نتيجة سعي رياض بك عزل المملوك وتعيين الحاج عبد الله يحيى، والسيد عبد الحسين شرف الدين" كذلك . ولم تفلح في ملافاته كل محاولات رأب الصدع.

٣ - كانت الهيئات الاجتماعية في قرى جبل عامل على انقسام ثنائي بين مؤيد لفرنسا وبين معارض لها، وما همّ أكان ذلك بتدبير من فرنسا وبتمويل منها، كما يرى بعض الرواة. فجمعيات الصداقة مع فرنسا كانت تقوم علنًا في بنت جبيل وتبنين وصور وجويا برئاسة أعيان ووجهاء من

خاصة ، أنني كنت أقول إن جبل عامل يدي اليمنى، وما زلت أقول ذلك. ولكني أرجو منهم أن لا يتركوا للمفسدين بيني وبينهم مجالًا، ولو بمقدار شعرة. فقال له الشبيبي: أن العامليين يفدون العرش والتاج بنفوسهم ونفيسهم. فقال له الملك: إنني أعلم ذلك، لكن بلغهم ما أقول. ثم جاء الشيخ منير عسيران والحاج اسماعيل خليل إلى السهرة، فأبلغهم الشبيبي رسالة الملك فيصل. وقال الحاج اسماعيل: إن جمعية جواسيس الافرنسيين وعمالهم في صور، احتجوا على تمليك الملك فيصل، بتواقيع مزورة وأختام كانت معدة عندهم لمثل هذا التزوير. ولكن الاحتجاج لم يخرج من صور، لما قام حوله من الضجة . هذا ما قاله الحاج اسماعيل، وهو من الوطنيين المعروفين". أحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، ص ١٠٦.

٢١- سليمان، ظاهر: **جبل عامل في الحرب الكونية**، ص ٥٩ - ٦٠.

عصبيات هذه البلدات في مواجهة غير عصبيات على ولائها للوحدة السورية.

٤ ـ كان موقف القُوى السياسية العروبية في دمشق من الأحداث في جبل عامل وتحديدًا مع حملة نيجر التدميرية بعد مؤتمر الحجير، الإغفال الكامل . "فقد أحجمت جرائد دمشق المطلقة عن المدافعة عن جبل عامل"، "... أنسوا الانكماش عن هذه الطائفة (الشيعة العامليون) ممن كانوا يرجون نصرتهم من رجال السياسة في الشام ومسلمي بيروت"([٢٢]).

٥ ـ كان مصير جبل عامل يتقدم في نظرة مفكري جبل عامل يومها على مصير سورية ووحدتها. ففي واحد من الاجتماعات الأولى للقيادات العاملية يحدد الشيخ أحمد عارف الزين الموقف العاملي فيقول:

"بضرورة المطالبة بحقوق الطائفة وبلزوم الاتفاق، والعمل على تشكيل حكومة وطنية". ثم يأتي الشيخ سليمان ظاهر في الاجتماع نفسه فيقول: "ثم طلب مني الكلام، فأبديت رأيي بأن المطلوب في مثل هذا الوقت الحرج التريث ريثما يتم تشكيل حكومة وطنية جديدة، ونرى ما تنوي القيام به من التشكيلات والتنظيمات، ومن الضروري الانتظار لمعرفة حقيقة هذه الحكومة وهل هي مبنية على توزيع الحقوق على الطوائف أو على غير ذلك. ومن البديهي أنه ينبغي اتباع مجرى الحوادث لنسير على مقتضاها. وعلينا الآن أن نقوم بعمل مهم جدًا، وهو أن نجمع كلمة الطائفة حتى تصبح كتلة واحدة، وأن نتحلى بالحكمة والدراية، ونعمل على الاتحاد والاتفاق مع جيراننا من سائر الطوائف، وخاصة أن نوفق ما بين كامل بك الأسعد ورضا بك الصلح".

* * *

أخيرًا، أتمّت رسالة "مؤتمر الحجير" "رسالتها" وأكثر. وأجدني الآن، وأنا أعيد قراءتها كمن يرى صورة له في مقتبل شبابه ، بشاربيه الكثين وسالفيه الطويلين العريضين، قبل أن يغزوه الصلع والشيب ، يرى إلى صورته هذه بضحكة فاقعة ، إذا كان مع آخرين من معارفه. أو، إذا كان منفردًا بنفسه وحيدًا، يرى إليها ببسمة ودمعة فرح ضاحكة.

أنا أحب " الرسالة " ، باكورتي في كتاباتي للتأريخ، وأحب نظرتها وتحليلها للحدث، مع حيدتي اللاحقة عن كثير مما داخلها من تحليل ووجهات نظر. حيدتي التي تولدت من وقوفي، وأنا الآن في مطلع السبعينات من عمري، على منصات في الثقافة والعمر مغايرة للمنصة الأولى في مطلع سنوات عشريناتي . ولمن يعجب من إعجابي وفرحي بهذه الرسالة ، وأنا على غير سكّة ومنصة ، أقول مجيبًا مع محمد مهدي الجواهري :

نزق الشباب عَبَدْته وبَرِئْت من حِلْم المشيب

---

[٢٢]- أحمد، رضا: **مذكرات للتاريخ**، ص ١٤٥ – ١٤٦.